رأي القدس

اقتتال فلسطيني مؤسف

■ تواصلت يوم امس مسألة تبادل الاتهامات بين حركتي «فتح» و«حماس» في الاراضي الفلسطينية المحتلة، الامر الذي زاد من حدة التوتر واحتمالات انفجار حرب اغتيالات تنال رموزا سياسية وامنية بارزة من الجانبين.

فبعد وصف السيد محمد دحلان عضو المجلس التشريعي حركة «حماس» بانها عصابة من القتلة، ردت عليه الحركة باتهامه بقيادة تيار انقلابي داخل حركة فتح يريد زرع فتنة بين الفلسطينيين.

الازمة بدأت ذروة التصاعد باغتيال احد ضباط الامن الوقائي وستة من افراد عائلته، واتهام مجموعة تابعة للقوة التنفيذية المشكلة من قبل السيد سعيد صيام وزير الداخلية، بالاقدام على هذه الجريمة، ولكن حركة «حماس» نفت هذه التهمة.

رئيس السلطة السيد محمود عباس اعتبر القوة التنفيذية هذه «غير شرعية» واصدر مرسوما بحلها، وضم افرادها الى الاجهزة الامنية الرسمية، فرد السيد سعيد صيام وزير الداخلية بزيادة عددها الى 12 الف شخص.

الاراضي المحتلة تعيش حاليا حالة من الاستقطاب غير مسبوقة، تقسم الشعب الفلسطيني الى معسكرين متناحرين، تقف في الاول حركة فتح ومؤسسة الرئاسة بينما تقف في المعسكر الاخر حركة «حماس» وحكومة السلطة ومجموعة من التنظيمات الاسلامية والوطنية المتحالفة معها، وخاصة لجان المقاومة الشعبية وكتائب ابو الريش وبعض المستقلين.

الاجهزة الامنية الفلسطينية تتحول الى ميليشيات لحركة «فتح» ومكتب الرئاسة، في مواجهة القوة التنفيذية التي باتت ميليشيا حكومة «حماس». ومن المتوقع ان تبرز قريبا قوة ثالثة هي «الحرس الرئاسي» بدأت عمليات تسليحها وتدريبها في دول عربية مثل مصر والاردن، وترصد لها الولايات المتحدة حوالي 65 مليون دولار لتهيئتها لخوض الصدام المنتظر مع حركات المقاومة الاسلامية.

التناطح الحالي بين «فتح» و«حماس» ما زال اعلاميا، ويقتصر حتى الآن على البيانات والبيانات المضادة، ولكنه مرشح للتطور الى صدامات دموية فيما هو قادم من ايام، بعد ان فشلت كل الوساطات في ازالة اسباب التوتر، والمصرية منها على وجه الخصوص.

التنافس ينحصر حاليا على السلطة والصلاحيات والنفوذ، بينما الشعب الفلسطيني يعاني من الحصار والجوع والخوف والفوضى والفلتان الامني.

حركة «حماس» اخطأت عندما انجرفت وراء مستنقع السلطة، وحركة «فتح» ارتكبت خطيئة كبرى عندما ارادت انقلابا على الديمقراطية الفلسطينية ونتائجها التي اطاحت بها من السلطة. فلا «فتح» سلمت بالهزيمة، ولا «حماس» استطاعت ترجمة انتصارها الديمقراطي على الارض بما يفيد تخفيف معاناة الشعب الفلسطيني. وقد تكون لهذا العجز اسبابه، ومن بينها الحصار الدولي والعربي الذي فرض عليها منذ اليوم الاول لتشكيل حكومتها.

اسرائيل هي المستفيدة طبعا، وكذلك الولايات المتحدة، لان ما يحدث في الارض المحتلة من فوضى وتوترات يعفي الجانبين من اي لوم، ويقدم التبرير اللازم والقوي لوضع خطط السلام جانبا، بما فيها «خريطة الطريق».

قادة حركتي «فتح» و«حماس» يعرفون هذه الحقائق جيدا، ولكن الاحقاد الشخصية التي تتطور وتتضخم بين الجانبين باتت تعمي الابصار عن ايجاد مخارج مشرفة تؤدي الى انقاذ ما يمكن انقاذه.

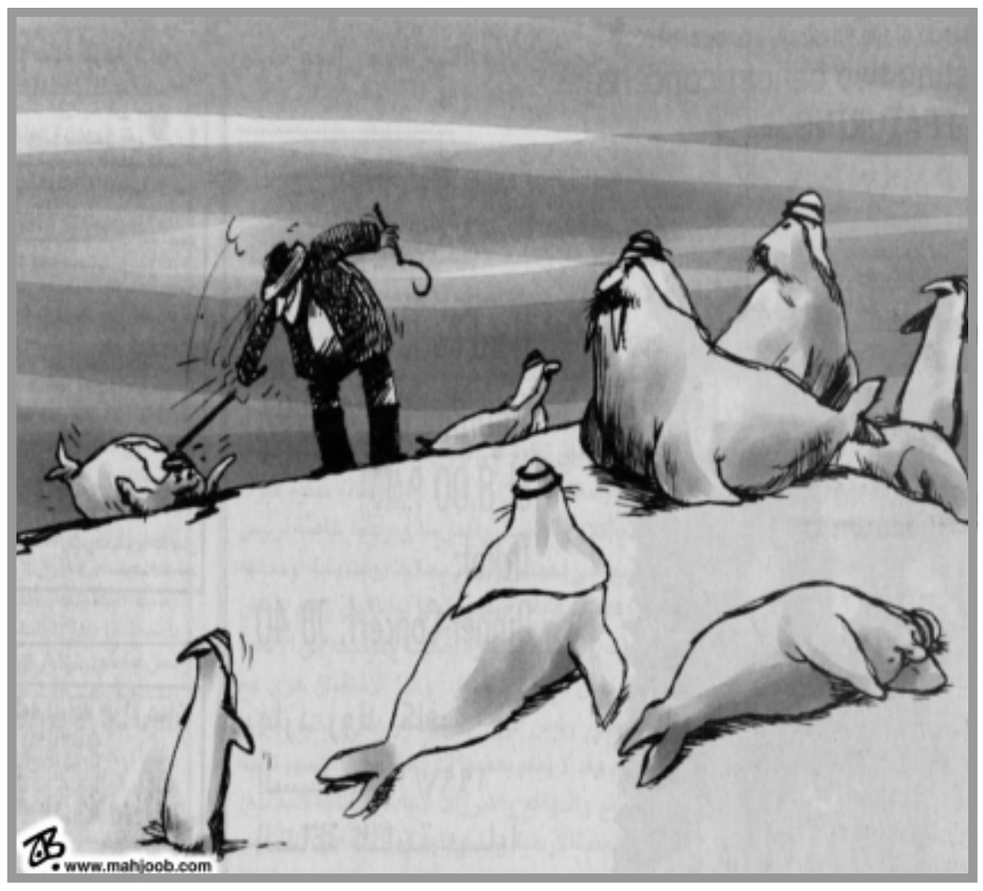

أيتام العرب العراق ومصر والصومال وفلسطين

د. محمد صالح المسفر

■ بعض الأقلام المأجورة في عالمنا العربي كانت تتهم كل صاحب رأي، أيا كانت جنسيته أو ديانته وقف ضد الحصار المفروض على العراق لمدة ثلاثة عشر عاما راح ضحية ذلك الحصار أكثر من مليون ونصف المليون من البشر بأنه من عملاء صدام حسين رحمه الله، وعندما احتل العراق من قبل أمريكا عام 2003 وسلم للمتعاونين معها انبرت أقلام عربية حرة وكذلك أجنبية للدفاع عن العراق واستقلاله وحريته ورفض الاحتلال، اندفعت في الجانب الآخر أقلام مأجورة للدفاع عن الاحتلال، وقيل لنا في حينه إن هذه القوات الأمريكية جاءت لتحرير العراق من الظلم والفساد وتحقيق الحرية والديمقراطية وتوزيع الثروة بين أفراد الشعب.

ما هو حال العراق اليوم؟ لا حرية ولا ديمقراطية ولا استقلال ولا امن للإنسان، وثروات منهوبة من قبل عصابات الحكم التي نصبها الاحتلال.

(2)

في مصر العزيزة قيادة سياسية همها التوريث كما يقول شرفاء مصر العزيزة ولا هم لها بالشأن العربي، والا ما هو التفسير السياسي العبقري الذي يستطيع أن يبرر استقبال الرئيس حسني مبارك لرئيس وزراء إسرائيل والقوات الإسرائيلية المسلحة تجتاح عاصمة السلطة الفلسطينية رام الله قبل ساعتين من اللقاء وأمعنت في القتل والتخريب وجرح العشرات من المواطنين المدنيين جراح وصف معظمها بالخطيرة والإعلان الرسمي عن عودة برنامج الاغتيالات للقيادات الفلسطينية من قبل الحكومة الإسرائيلية. سؤال بريء لو كان الشهيد صدام حسين حيا والعراق في عافيته هل ستجرؤ دولة عربية على استقبال رئيس حكومة العدو الصهيوني في مثل تلك الظروف؟

الصومال دولة عربية وعضو في جامعة الدول العربية تم احتلالها من قبل الجيش الإثيوبي بمعاونة عملاء صوماليين كما هو حال العراق اليوم وحال فلسطين وبدعم وتأييد من قبل أمريكا والخزي في هذا الشأن إن اكبر دولة عربية عبر رئيسها يوم الخميس الماضي بالقول «انه يتفهم التدخل العسكري للقوات الإثيوبية في الصومال وإنها ليست لديها أطماع إقليمية» يا للهول!!

(3)

محمود عباس يقول: ـ بعد توغل الجيش الصهيوني في عاصمته رام الله وقتل وجرح ودمر وخرج وبقي عملاؤه في كل مدن الضفة والقطاع ـ «إن الشعب الفلسطيني لن يرضخ لجبروت الاحتلال مهما عظمت قوته وهو مصمم على نيل حقوقه» كلام جميل وعظيم ونقدره، لكن اسمع كلامك يعجبني جدا وارى أفعالك استعجب!!

سيدي الرئيس محمود عباس أنت رئيس منظمة التحرير وراثيا، والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية، وقائد الأجهزة الأمنية وغيرها من الأجهزة السرية والعلنية، وعلاقاتك الوثيقة بأولمرت وغيره من زعماء الكيان الصهيوني وأمريكا العدوة معروفة، الم تستطع منع العدوان قبل وقوعه؟ أين قواتك الجبارة التي تتوعد بالويل والثبور لقيادات مجاهدي حماس وغيرها من الحركات الوطنية. سيدي الرئيس عباس، ألم تصدر حركة فتح التي ترأسها شخصيا بيانا جاء فيه «تطالب فتح كافة أعضائها ومناصريها بالرد على حماس وأعضائها بالقوة معلنة حالة الاستنفار القصوى وان القوة التنفيذية قوة معادية ويتم التعامل معها على هذا الأساس» كنت وغيري من الذين يحملون الهم الفلسطيني نتمنى لو أن بيان فتح المشار إليه أعلن «الدم بالدم والعدوان بالعدوان والبادي اظلم» عند كل اجتياح يقوم به جيش العدو الصهيوني للضفة والقطاع وليس عند كل خلاف يتم بين شركاء الوطن والمصير. كنا نتمنى أن يعلن القائد الهمام محمد دحلان في احتفالية فتح الأخيرة انه يجب أن تدرك القيادات الصهيونية بأنها ليست في مأمن عن سلاح المقاومة بدلا من تهديداته العلنية لقيادات حماس.

الدنيا يا أبا مازن زائلة فلا يغرنك الجاه والسلطان، ولا يغرر بك من حولك لتصطف إلى جانب قوات العدو، والأعداء أصحاب المصالح الشخصية من حولك في مواجهة أبناء وطنك الصغير فلسطين، اجعل كتائب الأقصى وجميع جيوشك من قبيلة فتح يصطفون إلى جانب إخوانهم المجاهدين من الفصائل الوطنية الفلسطينية المتعددة لمواجهة العدو الصهيوني الذي لا يفرق بينكم فكلكم عنده أعداء واجبه تصفيتكم ليستبد بالأرض المقدسة فلسطين.

في تذكر أشول دينق: تأملات شخصية في المسألة الأخلاقية

د. عبدالوهاب الأفندي *

■ أشعر بكثير من تأنيب الضمير لأنني لم أوف الصديق العزيز الراحل السفير الدكتور أشول دينق حقه من إحياء ذكراه، سوى كلمات عابرة في هذا المكان عند رحيله منذ بضع سنوات بعد مرض مفاجئ. فالرجل كان آية في حسن الخلق والمعشر، علاوة على ما تمتع به من علم ومميزات مهنية، حيث كان عالم قانون ضليعاً ودبلوماسياً مقتدراً، حليماً بطيء الغضب. ولم أشهد له غضبة كان لها ما بعدها سوى مرة واحدة في نهاية التسعينات، حين بلغه نبأ مقتل صديقه الأقرب المحامي مارتن ماجير في سجون الحركة الشعبية. حينها دعا أشول مجموعة كبيرة من السودانيين المقيمين في لندن لحضور مجلس عزاء للفقيد فجر فيه مفاجآته الكبرى بتوزيع بيان ينعى فيه مارتن ماجير ويعدد مآثره، ثم يوجه النقد للعقيد جون قرنق زعيم الحركة الشعبية الذي اتهمه مباشرة بقتله لأنه كان يخشى منافسته له في زعامة الحركة.

وبحسب أشول فإن مارتن ماجير كان من أوائل من التحق بالحركة الشعبية وكان من أبرز قادتها. ولكنه اعتقل في عام 1984 حين رفض تسلم جثمان ممثل الحركة في لندن بعد مقتل الأخير رمياً بالرصاص في العاصمة الإثيوبية أديس أبابا بدون شهادة طبية تحدد أسباب الوفاة ومطالبته بالتحقيق في القضية. وكان ممثل الحركة في لندن قد اعتقل وهو في طريقه إلى المطار بعد خلاف مع قرنق ثم قتل في ظروف غامضة. وحين طالب مارتن بالتحقيق في الحادث تم اعتقاله بواسطة المخابرات الإثيوبية. وعندما سقط نظام منغستو في إثيوبيا عام 1991 وأجليت الحركة الشعبية من قواعدها هناك، نقل مارتن وبقية المعتقلين إلى مناطق الحركة الشعبية في جنوب السودان حيث قيل انهم كانوا معتقلين في ظروف غاية في السوء. وقد ظل الرجل معتقلاً هناك حتى تمت تصفيته في ظروف غامضة. وقد ظل قرنق وأنصاره يرفضون لمدة طويلة الكشف عن مصيره، ولكنهم في نهاية المطاف وزعوا رواية تقول بأنه قتل وهو يحاول الهرب. ولكن المعلومات التي كشف عنها أشول كانت تشير إلى أنه صفي ثم وضعت جثته في كيس ألقي في النهر.

غضبة أشول لما لحق بصديقه مارتن كانت من جهة موقفاً أخلاقياً من عملية اغتيال بشعة وغير مبررة، ولكنها كانت تعود أيضاً إلى المودة الشخصية بينهما، حيث كانا رفاق طفولة وزملاء دراسة. وفوق ذلك كان أشول يشعر بمسؤولية شخصية عن مصير مارتن، لأنه بحسب روايته فإن الصديقين تقاسما الأدوار، حيث اتجه مارتن إلى العمل السياسي بينما اختار أشول المسار الأكاديمي والقانوني. وكان لهذا يعتبر مارتن بمثابة من ينوب عنه في النشاط السياسي منذ كان نائباً في البرلمان إلى أن التحق بالحركة الشعبية. وقد آلمه بشدة ما لقيه من سوء المعاملة ثم القتل بصورة بشعة وهو في الأسر.

وقعت رواية أشول عن مقتل صديقه وانتقاداته المريرة والحادة لقرنق وقع الصاعقة على الحضور، خاصة الجنوبيين منهم. وقد كان هذا الاستغراب في حد ذاته كاشفاً عن كثير من المسكوت عنه في السياسة السودانية. ففي ظاهر الأمر لم يكن هناك ما يدعو للعجب من توجيه أشول دينق، وهو قبل كل شيء سفير في حكومة السودان التي كان قرنق يشن الحرب ضدها، انتقادات لاذعة لزعيم الحركة الشعبية. ولكن كان هناك تفاهم غير معلن مفاده أن كل الجنوبيين، وخاصة أولئك الذين ينتمون إلى قبيلة الدينكا، يدعمون ضمناً الحركة الشعبية التي تدافع عن تطلعات الجنوبيين. وكان يتوقع من كل هؤلاء على أقل تقدير الامتناع عن توجيه انتقادات للحركة الشعبية وزعيمها، مهما كانت مواقعهم وانتماءاتهم.

ويلاحظ هنا أن أشول قد التزم هذا التوجه حتى بعد اعتقال صديقه مارتن ظلماً كما كان يرى، وبقائه في المعتقل أكثر من عشر سنوات، بما في ذلك نقله إلى معتقل غاية في البدائية والوحشية في أدغال الجنوب. ولا بد أن ضبط النفس هذا كان ينطلق من الحرص على عدم الإضرار بـ«القضية». ولكن الكيل فاض بعد أن تعدى الأمر إساءة المعاملة والاعتقال التعسفي لمجرد الخلاف السياسي إلى القتل بدم بارد، فلم يعد السكوت ممكناً.

المعضلة التي واجهها أشول دينق تشبه ما يواجهه كثير من المثقفين وهم يعالجون معترك السياسة. ففي السياسة يصعب رسم الخطوط الفاصلة بين الأبيض والأسود. فما ذا يكون موقف الإنسان إذا كانت هناك فئة تتصدى للنضال في قضية عادلة، ولكنها ترتكب الكثير من الأخطاء والخطايا؟ على سبيل المثال، كيف يجب أن يكون موقف المرء من أنباء الفساد والممارسات الخاطئة في منظمة التحرير الفلسطينية؟ هل يصرح بما يعلم ويفضح المخطئين، مدركاً بأن ذلك قد ينزل برداً وسلاماً على الصهاينة الغاصبين؟ أم هل يكتم ما يعلم ويواجه خطر أن استمرار الفساد والأخطاء قد يكون أشد على القضية على المدى الطويل من نقاط يسجلها العدو مؤقتاً؟

هذه الواقعة وما تطرحه من معضلات مهمة في حد ذاتها، ولكنني أوردها هنا لتصحيح الإطار الذي دار ويدور فيه الحوار حول أخطاء وخطايا النظام في السودان. فقد علق البعض على المراجعات النقدية التي ابتدرها عدد من الإسلاميين، وعلى رأسهم الأخ د. التجاني عبدالقادر بأن مراجعات الإسلاميين هذه تأتي متأخرة وغير كاملة. ولعل من يتابع هذا الطرح يكون معذوراً لو اعتقد أن الصراع في السودان كان بين دكتاتورية الإسلاميين من ناحية، وبين طائفة من الملائكة المقربين تؤمن بالديمقراطية إيمان العجائز، ولا تساوم في مبدأ أو موقف أخلاقي، من جانب آخر.

وفي حقيقة الأمر فإن ممارسات معارضي الحكومة لم تكن أقل سوءاً، خاصة فيما يتعلق بالحركة الشعبية، والفئات المسلحة الأخرى، مثل حركة عبدالعزيز خالد. فكل هؤلاء مارس القتل والتعذيب والتطهير العرقي. ولعل الملاحظ على سبيل المثال أن مناطق الحكومة كانت دوماً تزخر بالمعارضين من كل لون، بمن في ذلك أنصار الحركة الشعبية، ولكن مناطق الحركة الشعبية كانت دائماً طاهرة ونظيفة من أي شمالي إلا ما ندر، ناهيك عن مؤيدي الحكومة. ولم نسمع من أي من المثقفين المعارضين فيما قبل اتفاقية السلام أو بعدها أي نقد لتلك الممارسات. وفي حين ظل كثير من الإسلاميين يوجهون النقد لكثير من الممارسات الحكومية منذ وقت مبكر، وتعرض بعضهم للملاحقة والاعتقال بسبب ذلك، فإن الجانب الآخر ظل يسوده صمت القبور، ولم نشهد حتى الآن أي بدايات للمراجعة والنقد الذاتي.

ولا يتعلق الأمر هنا فقط بخلو معظم أحزاب المعارضة من الديمقراطية وتجذر الممارسات الفاسدة والاستبدادية في معظمها، بل أيضاً من تحالفات لا أخلاقية مع أنظمة قمعية بالنسبة لها فإن الحكومة السودانية تصنف مع سويسرا والنرويج في ديمقراطيتها. فقد كانت أحزاب المعارضة تجتمع في العاصمة الإريترية أسمرا التي يحكمها نظام الحزب الواحد والشخص الواحد والصحيفة الواحدة ثم يصدرون البيانات التي تهاجم نقص الحريات في الخرطوم! ولقد ظل البعض يصدر الكتب والدوريات والمقالات من قاهرة المعز، حيث يهاجم وينتقد الإسلاميين الذين ينادون بالديمقراطية لمظنة أنهم قد لا يكونون صادقين، بينما لم يفتح الله عليه بكلمة نقد للنظام المصري الذي يمارس القهر والتعذيب والقمع حقيقة لا مظنة، لأنه لو فعل لربما واجه مصيراً مجهولاً.

من هذا المنطلق فإن الانتقادات التي توجهها للنظام السوداني تنطلق من كونه قصر عن مثال كنا نرجوه، وتراجع عن ممارسات سودانية محمودة كانت سابقة له، وليس لأنه أسوأ الأنظمة في المنطقة، وتحديداً لأن البدائل المطروحة في المنطقة ليست هي اليوم بين ديمقراطية علمانية مستنيرة واستبداد إسلامي ظلامي. ذلك أن الأنظمة الاستبدادية العلمانية فشلت حتى الآن في بناء قاعدة شعبية تتيح لها التحرك نحو الديمقراطية، بينما ظلت شعبية الإسلاميين في ازدياد. ولهذا فقد أصبح الأقرب للواقعية أن يتمنى المرء لو أن الإسلاميين طوروا نهجاً ديمقراطياً استناداً إلى شعبيتهم، بخلاف خصومهم الذين افتقدوها. ومن هنا جاءت خيبة الأمل لأن البعض استبدل التي هي أدني بالتي هي خير.

وللأسف فإن هذا طريق سلكه من كان قبلهم، كما فعل من انقلبوا من قبل على أنظمة استبدادية إسلامية (في اليمن) أو علمانية (العراق، مصر، سورية، إلخ). فقد جاء هؤلاء بوعد التحرر والحرية. وقد كان لبعضهم (مثل الرئيس الراحل عبدالناصر) من الشعبية والقبول ما يغني عن النزوع إلى الاستبداد، ولكنهم لأمر ما اختاروا ذلك الطريق المغلق. وقد كان في تلك التجارب عظة لمن اعتبر، وكان هذا مناط تحذيرنا المبكر والعلني لحكام السودان الجدد في مطلع أيامهم من الوقوع في ذلك الجب، ولكن إرادة الله غالبة، وإنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء. ولكن يبقى كما أشرنا أن النظام ليس هو كل المشكلة. فالنظام يقف اليوم معزولاً، فاقداً للسند الشعبي، وقد أدبر عنه الإسلاميون ولم يقبل عليه غيرهم. والسؤال القائم الآن وقبل الآن هو: أين المعارضة، ولماذا تعجز الأحزاب المعارضة عن مجرد عقد مؤتمراتها وانتخاب مسؤوليها، ناهيك عن أن تجيش الشارع وتحشد الجموع لمنازلة الحكومة في صراع الديمقراطية؟ إن الديمقراطية ليست منحة تعطى وإنما حق ينتزع، لمن استحقه. وإذا كان هناك شعب محروم من الحرية والديمقراطية فهذا يعود لأنه (أو لنكن دقيقين) القيادات التي تدعي تمثيله، لم يستحق حريته بعد.

وإذا كان من حق المعارضين القدامى للنظام (الذي انخرط كثير منهم للأسف تحت عباءته طمعاً) الحق في أن يذكرونا بأن الإسلاميين لم ينتقدوا النظام بما فيه الكفاية، فإن مثل هذا النقد يكون مقبولاً أكثر حين يكون هؤلاء قد أمروا أنفسهم بالمعروف أولاً، ومارسوا النقد الذاتي. فمن قصر النظر أن يفرح هؤلاء بالنقد الذاتي لغيرهم ويعتبرونه نصراً لأنفسهم ومواقفهم على طريقة «اخلع صاحبك ولأثبت صاحبي»، لأن صلاح البلاد لن يتأتى إلا بصلاح كل القوى السياسية فيه وتواضعها على كلمة سواء من التعايش الديمقراطي. وإلا فإن تخبط نظام الحكم في السودان كان سابقاً للإسلاميين وقد لا ينتهي إذا غابوا من الساحة.

* كاتب وباحث سوداني مقيم في لندن

اعدام صدام بدأ في الجامعة العربية

د. المنجي الكعبي *

■ لقد كان الاسف على صدام يكون اقل لو قتل في الايام الاولى للحرب في العدوان الامريكي على العراق، واقل منه لو قتل بيد افراد جيشه او في اغتيال كما حاول هو اطلاق النار على سلفه في الحكم رئيس العراق الاول عبد الكريم قاسم. ولكن ان يكون قدره النجاة طوال حكمه الثلاثيني من كل انقلاب عسكري عليه ومن كل اغتيال استهدفه في السابق، والاستمرار في القبض بيد من حديد على زمام الامور في بلاده رغم الحظر والمقاطعة الدولية والتخريب الداخلي والضغوط الخارجية، فهذا في حد ذاته فتح لم يفتح الله لانسان قبله في السلطة في العراق.

وذلك بالضبط ما كان يأخذه الغربيون، اعداء الامة والاسلام على صدام، لانه من المحلي والوطني انتقل الى القومي ثم الى الاسلامي عبر مسيرته في الحكم. فقد كان الحلقة الجديدة في الشرق الاوسط بعد عبد الناصر. وكان ينبغي بعد اخضاع مصر ان يكون الدور على العراق، لان خريطة العواصم الكبرى الفاعلة في الامة العربية الاسلامية كان ينبغي ان تمر في الاول من زاوية النيل ثم دجلة والفرات. وتدع غيرهما من العواصم الى ان يحين قطافها، كسورية في شمال بلاد العرب والجزائر في قلب المغرب العربي او مغرب العرب.

وصدام او العراق الحديث اوتي ما لم يؤته زعيم قبله في الشرق الاوسط له حكم الرافدين ومجد الخافقين ونفط الارض ليمنع شمس البترول ان تشرق على العالم اذا لم يكن له خراجها.

فلم يكن ذنبه ان يرث عراقا ذا اعراق وامة مقسمة الاوصال بسبب الاستعمار والتخلف وحكاما على اطرافه، بلدانهم رهن بايدي من يحميهم ويعترف بسيادتهم واستقلالاتهم وحدودهم، وولايتهم الى امريكا واوروبا او الاتحاد السوفيتي بالامس قبل كل ولاية لاحد من جيرانهم او اشقائهم مهما يكن شأنه.

وليس من باب الصدفة ما حاوله الرئيس الراحل جمال عبد الناصر من قبل في صلب جامعة الدول العربية، لجمع الصف العربي على كلمة واحدة في الحرب والسلم! وليس من الصدفة ان تراجعت الهمم الى اقل من ذلك لجمع الصف في تجمعات اقليمية محدودة لكسب المزيد من القوة والاستعداد للمستقبل ضد كل نزعات الهيمنة داخل الصف العربي الاوسع.

هل كان بامكان صدام او غيره ان يكون العراق غير ما هو عليه قوة ومنعه ليدخل مجلس التعاون الخلجيي هو او اليمن؟ وهل كانت مصر لتسمح للعراق بان يتطاول على زعامتها داخل الجامعة العربية لتخسف بأحلامه او يخسف هو بجامعتها الى خارج مصر، ثم يفشل فيما فشل فيه قبل ذلك من اقتعاد مركز القيادة بتلك الجامعة لتحقيق احلام الامة في الوحدة والحرية والتقدم بنسق البعث والقومية العربية.

ام كان ينبغي ان تقذف به مصر ومجلس التعاون الخليجي في الاخير خارج الصف العربي حين استعادت القاهرة الجامعة من تونس، وكان اول قرار لها بالاجماع المريب اعلان التحالف ضده في الحرب عليه من اجل الكويت بقيادة امريكا والغرب قاطبة.

هل بامكان زعيم عربي في حجم العراق الحديث الذي اراد له العرب جميعا من اقصى الارض الى اقصى الارض ان ينهض نهضة مصر بالعروبة والاسلام حين خذلها حلفاؤها من السوفييت وتدبير من الغرب، على تحقيق ادنى احلامها من ذلك على حساب اسرائيل، بل حتى على حساب بعض العرب.

وهل كان لصدام او لعراق صدام، وهو يحكم بالحزب الواحد القيادي ان يشع بنظريات نشر القومية او الثورية او الاشتراكية خارج حدوده حتى يكون الترحيب به من اي نظام عربي، او تغض قوى الهيمنة العالمية عينها ان ينافسها نفوذها وحضورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفلسفي في تلك البلاد؟ واموال الارض كلها التي جادت بها العراق وزعها يمنة ويسرة ولم تكفه السنة السوء او تأويل نواياه الى غير الشرط والتسلط.

هل قيل للعرب ان الوحدة لا تكون الا بالتكامل والتعاون المتدرج بين النظم العربية على اختلاف توجهاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لتحقيق التقارب.. لا بالقوة والفرض ولا بالهيمنة والابتزاز والتهديد والتحالف المشبوه؟

فهل افلح نظامان عربيان بتمديد حزب فيهما يحمل نفس الشعارات وربما نفس الاسم الى الخروج وراء حدود بلاده الاصل التي نشأ فيها؟ اذا كان للحزب وحده ان يمهد الارضية لذلك التكامل المتحدث عنه في الجامعة العربية والى ذلك التعاون والتنسيق، بل ابرز مثال على عكس ذلك هو ما تكون من عداء مستحكم بين سورية والعراق ذاتي الحزب الواحد. حتى لكأن الاقدار جعلت من كل فرع حزبي في البلدين سببا في التأليب ضد البلد الآخر، او اعطت لهذا الحزب واجهة ايديولوجية واستراتيجية تموج في تيار معاكس تماما لذات الحزب في بلد الاخر.

فتبين انه لا الحزبية ولا التواجد بالتجمعات الدولية الاقليمية او الجهوية او التماهي بدساتير ولوائح المنظمات الدولية كفيل بحل قضية العرب والغرب واسرائيل في خريطة الشرق الاوسط او غيرها. اذ زاد البعد الاسلامي لكثير من دول العالم القطيعة بينها، بسبب قلة الحيلة في جمع شتاتها غصبا عن امريكا وقوى الاستقطاب الجديد على العالم، ولا تكاد تحاول الا الحد الادنى من التعاون والتكامل بسبب التدخل والضغط الخارجي عليها.

فهل كان على صدام ان يخرج من العراق، لان امريكا تحتاجه اليها كما فهم بعض العرب؟ او كان عليه ان يضع يده في يد مصر باعتبارها الشقيقة الكبرى وباعتبارها تحلم بتحقيق امن العرب في المنطقة بالسلم الخانق الى حد الموت على اسرائيل طالما لم يشأ العرب ان يوحدوا صفوفهم وراءها للحرب على اسرائيل؟

ام هل كان عليه ان يبسط يد ايران على بوابة العرب الشرقية شبرا شبرا الى ان تصل حكومة الملالي ـ كما يقول هيكل ـ الى العتبات المقدسة بكربلاء والنجف والكوفة وسامراء، كما حلم الشاه ومن قبله منذ العصور السحيقة لقيام الشيعة في فارس، مناوأة لاستبداد العرب بالحكم في جزيرتهم وخارج جزيرتهم باسم الاسلام.

فالامر لا يكاد يختلف بين نظام عربي ونظام عربي ونظام اسلامي ونظام اسلامي في ظل التنازع على السلطة الذي يذكيه الداخل والخارج بسبب هذا الضياع الذي يعانيه العرب والمسلمون بعد عصر الاستعمار والتجاذب بين الاقطاب، الذي كان والذي يستمر الى اليوم للأسف.

واقصى ما اكتشفه الحكام العرب للفوز بحياتهم في السلطة وما بعدها هو تقديم مصلحة انفسهم وبلدانهم في بعض الاحوال على كل مصلحة عليا تشمل اوطانهم، بسبب العرق او الدين او الجوار. ومنتهى امالهم الابقاء على حشاشة ارواحهم في سوق النخاسة العالمي بالانظمة المتخلفة والدول المغلوبة على امرها.

وهل كان على صدام ان لا يتحالف مع الاتحاد السوفييتي لدرء اطماع امريكا في بلاده ـ وبعض جيرانه ضالعون في التحالف معها ضده. او كان عليه ان يقدر على حربه ضد الخميني سوف لا تطمع فيه سورية وليبيا، المنافستان له في الزعامة على القومية وعلى اقتياد العرب راغمين للوحدة معهم، او يجعل مصر تغضي عنه قليلا للاموال التي اجراها لها مجرى النيل في حوضه. ولا تلقي به في جهنم الحرب الاستنزافية بينه وبين ايران، وكلاهما تاريخيا منافس خطير على نفوذها في المنطقتين العربية والاسلامية.

كان على صدام ان يكون البعث، وفي الوقت نفسه الاسلام، وفي الوقت نفسه الحليف بعلمانيته للغرب وفي الوقت نفسه الاخ الودود للكويت وباقي دول وامارات الخليج، ويذعن لمن يعتبرون انفسهم اخوانه الكبار ببترولهم او سعة دولهم.

هل سنرى زعماء العراق الجدد ينتهون دون احتكاك بترسيم ما بقي من حدودهم مع الكويت دون الرجوع عما تم منه خلال الحصار الامريكي على صدام؟ ام تطيب نفوس الكويتيين للحط من ديونهم او اسقاطها تماما لسواد عيون خلفاء صدام في الحكم، اذا لم يكونوا في ادنى من طاقته للمطالبة بشيء للعراق في حقهم؟

لقد اخذت المآخذ الكثيرة على صدام بسبب الدجيل والانفال والاعدامات الاعتباطية والقبور الجماعية والاحكام الفورية على كل من يخالفه الرأي والقرار، حتى ليتصور المرء انه حجاج العصر او زياد بن ابيه او الاشتر النخعي او ابو العباس السفاح لشدة ما تخيله الاخيلة من تنكيلاته الفظيعة بمن يناصبه العداء او يتقمص الزعامة على شبر من العراق في عهده؟

ولكن قل من يتساءل او يعرف العراق وتاريخه الطويل، وشدة ناسه في الحق او فيما يعتقدون انه حق حتى وان توهموه في نفوسهم باطلا ولكن يسنده حق برد فعل او انتقام او قصاص او شرف عرض ونفس ومال.

ولكن حتى ولو سلمنا بأن الطبيعة القبلية والطائفية للعراق، وبيئته الجغرافية والتاريخية بعامة، تجبل نفوس اهله على تقييم للحياة غير تقييم شعوب اخرى لها، فان تناقضات هذا البلد مع كون خارجي اصبح اكثر فأكثر تداخلا، ونظم اكثر فاكثر عنفا تجاه الفرد والجماعة يجعله حتما يصطدم اما بطاغية يوحده بالدم والحديد الى اجل من اجل التقدم والرقي، او يمد حبل الفتنة بين فئاته وطوائفه ليحكمه على هون ولو يوما او يومين ثم ليخلي تحت المقصلة الحكم لمن بعده. وهكذا دون استقرار وامن وازدهار.. ولا قوة ولا منعة تجاه الغزاة والطامعين من الخارج.

وكثيرون تمنوا على صدام ان لا يغتر بكلام السفيرة الامريكية، او لا يركن لهذا الزعيم الغربي او ذاك الرئيس الشرقي لتسليحه ضد جيرانه او ابناء جلدته من العراقيين اكرادا كانوا او شيعة، ولكنهم لو ناولهم الحكم في بلاده، او اراهم سيرة غيره في الحكم في بلاد العروبة كلها والاسلام لما قاوموا مثله التوسل بكل الوسائل لتحقيق الاغراض. بل ربما لو نجح، ولم يكونوا اعوانا للايقاع به قبل ذلك، لقيل انه كان غرر بالسفارة الامريكية.

ان العيون كلها تفتحت على مآسي صدام بعد سقوطه من الحكم وكان ينبغي ان يخجل اكثر حكام العرب والمسلمين على انفسهم قبل امريكا، الذي قال قائلها انه كان يتمنى لو اعدم صدام بإعدام اكثر لياقة؟

ان العرب وغير العرب من المعادين لصدام سيبقى دينهم لامريكا التي اطاحت به وبعراقه العظيم، حتى وان حولوا نفطهم بالكامل في احتياطيها، ولكنهم سوف لن يجدوها لانقاذهم مستقبلا من تربة العراق الحية بدمه المراق ودماء شهدائه عبر العصور من اجل استعادة العرب والمسلمين كرامتهم على الارض بدون رهن امريكي او غيره، ويكون من حقهم وربما الان اكثر مما كان في السابق للاخذ بثأرهم الذي اهدره العالم بمرأى ومشهد من شعارات حقوق الانسان وحقوق الاسير وحقوق الشعوب.

لقد كانت الحكمة التي لدى ايران من قديم والحكمة التي لدى العرب من قديم فضلا عما يجمعهما اليوم من اسلام وعداء لاسرائيل ان لا يشمتوا الاعداء في عيد الاضحى واعياد الميلاد في العرب والمسلمين باعدام اسير ورأس دولة ونظام، لان التشفي منه لا يقدم ولا يؤخر في التربة التي تستطيع ان تصنع اقسى منه، والحلم والرأفة كانا بامكانهما وحدهما ان يصنعا المعجزة لجمع ما تفرق على ارض العراق الطاهرة بين الشيعة والسنة والقوميين والاسلاميين والوطنيين والعلمانيين والاكراد والارمن والكلدانيين والسومريين بفعل غياب القيم المتعالية على حيثيات الحكم والسياسة واعتبارات الزمان والمكان.

* برلماني سابق من تونس

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 723152(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 420 57364 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
*email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk*
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 723152
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN